الهوية الدينية في شعر أحمد بخيت

The Religious Identity in the Poetry of Ahmed Bakheet

سارة محمود محمد صالح
مدرس مساعد
د. غانم صالح الحمداني
أستاذ
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الانسانية– قسم اللغة العربية

Sarah Mahmood Mohammed Saleh
assistant teacher
Dr. Ghanem Saleh Al-Hamdani
professor
University of Mosul - College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

mailto:iman.22arp25@student.uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢٤/٢/٢١ تاريخ القبول ٢٠٢٤/٣/٢٥

الكلمات المفتاحية: الهوية الدينية، شعر أحمد بخيت، الرموز الدينية، تأثير الدين في الشعر.

Keywords: Religious Identity, Poetry of Ahmed Bakheet, Religious Symbols, Influence of Religion on Poetry.

الهوية الدينية في شعر أحمد بخيت الملخص

تتناول هذه الدراسة الهوية الدينية في شعر أحمد بخيت، حيث تحلل العناصر الدينية وتأثيرها في مضمون قصائده وتوجهاته الفنية، يبرز البحث استخدام بخيت للرموز والمفاهيم الدينية كوسيلة للتعبير عن رؤيته الدينية والفلسفية، مما يسهم في تشكيل هويته الشخصية والفكرية، يتناول البحث أيضًا تأثير شخصيات الأنبياء على تجربة الشاعر الشخصية وكيفية تعزيزه لتوجهاته الإبداعية، يقدم البحث فهمًا عميقًا لتفاعل الدين والشعر في إثراء المضمون الأدبي وتعميق رؤية الشاعر للحياة والإيمان، بشكل عام، وتأتي أهميته من خلال أهمية الشاعر نفسه، حيث يمثل شعره شعر العصر، فهو في مقدمة الشعر ومن الطبقة الأولى، توصلت الباحثة إلى أن أحمد بخيت متأثر بشخصيات الأنبياء وقصصهم مما ينعكس على صوره الشعرية، فقد تناول الكثير من الأسماء الدينية بشكل مباشر أو غير مباشر، والباحثة قامت بدراسة النصوص وتحليلها وتفسير دوافع الكتابة.

Abstract

This study examines the religious identity in the poetry of Ahmed Bakheet, analyzing the religious elements and their influence on the content and artistic directions of his poems. The research highlights Bakheet's use of religious symbols and concepts as a means of expressing his religious and philosophical vision, contributing to the shaping of his personal and intellectual identity. Additionally, the study explores the influence of the prophets' characters on the poet's personal experience and how it enhances his creative orientations. It offers a profound understanding of the interaction between religion and poetry in enriching literary content and deepening the poet's vision of life and faith. Overall, the importance of this study lies in the significance of the poet himself, as his poetry represents the poetry of the era and places him at the forefront of contemporary poetry. The researcher concludes that Ahmed Bakheet is influenced by the characters of the prophets and their stories, which is reflected in his poetic imagery. He directly or indirectly addresses many religious figures, and the researcher conducted a study, analysis, and interpretation of the texts to understand the motives behind his writing.

الهوية والرّموز الدينية

تلعب الهوية الدينية دورًا بارزًا في نسيج الحياة الاجتماعية والسياسية على مستوى العالم. يُعتبر الفهم الشخصي أو الجماعي للهوية الدينية عاملاً أساسيًا يُشكل رؤية الفرد أو المجموعة لذاتهم، حيث يعبّر عن الاعتزاز والانتماء إلى دين محدد أو فئة دينية. يمكن تصوير الهوية الدينية كالمسار الذي يتبناه الأفراد أو الجماعات في تصوّر أنفسهم وتمثيلهم لانتمائهم إلى ديانة معينة، وكذلك تجسيد قيمهم ومعتقداتهم الدينية[١]، ازداد اهتمام المجتمع الحديث بمفهوم الهوية الدينية، خاصةً مع تزايد تشكيل الجماعات البشرية تحت عبارات وألقاب متعددة في العصر الحديث. يظهر أن مفهوم الهوية الدينية لم يكن غائبًا في العصور السابقة، ولكن لم يتم تنظيمه أو تفسيره بشكل فكري واجتماعي بنفس الدرجة. يعتبر الدين ككل كان قائمًا منذ فترة طويلة قبل القومية، وكان يمثل توحيدًا روحيًا وقيميًا.ولكن، كان الدين يشكل تجمعًا روحيًا وروابط قيمية قبل أن ينتقل تدريجيًا إلى أن يتحول إلى فكرة تمتد لتشمل الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المراحل التطورية للمجتمعات البشرية، وقد كتب (دوركهايم) عن تطور الهوية الدينية قائلاً: " إن الدين هو شيء اجتماعي بارز، وبدلاً من التركيز على الآلهة أو العناصر الخارقة، يركز تكوين الدين على الوعي الجماعي والمجتمع، وتؤدي الطقوس والممارسات التي يشارك فيها الناس بشكل جماعي إلى الشعور بالوحدة، هذا التطور للهوية هو ما يؤدي بعد ذلك إلى الدين المنظم عند فهم هذا النهج"[٢]،ويشير كذلك دوركهايم إلى أن الهوية الدينية تعتمد دوماً على الجماعات، ولهذا فإنّ الهوية الدينية بدأت في مجتمعات ما قبل الحداثة، "والتي كانت في الغالب عشائرية أو قبلية. ومع ذلك، إذا كانت الهوية الدينية منسوبة بالفعل، أو قائمة على الجماعة، فيمكن أيضًا أن تكون خالية من القيود الجغرافية، مع انتقال العشيرة أو القبيلة من منطقة الى أخرى، يجب أن تستمر الهوية الدينية طالما بقي المجتمع متماسكًا، وهذا يختلف عن الهوية الوطنية، حيث تؤثر الخطوط المرسومة على الخريطة بقوة على من يطور الهوية الوطنية"[٣]، وبناءً على ذلك، يظهر أن تأثير الهوية الدينية يتجاوز بكثير تأثير الهويات القومية والوطنية على المجتمعات. يُظهر هذا بشكل واضح من خلال النمو الكبير الذي شهده الدينين المسيحي والإسلامي، حيث انتشرا وتوسّعا بشكل كبير من خلال عمليات التبشير. في المقابل، استمرت الأقليات الدينية التي لم تتبنى عمليات التبشير في الحفاظ على أعدادها المحدودة على مر القرون. يُظهر هذا التطور كيف أن الهوية الدينية تمتلك قوة جذب وتأثيرًا دائمًا على الناس، مما يبرز أهميتها في تشكيل الهويات الفردية والجماعية وتحديد مسار التطور الاجتماعي.

---

[١] ينظر :الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري العاني: ٤٣.

[٢] الأشكال الأولية للحياة الدينية– المنظومة الطوطمية في استراليا–، إميل دوركهايم: ٢١.

[٣] الأشكال الأولية للحياة الدينية: ٢١.

قد تكون أوّل إشارة غير مباشرة إلى أسلوب القناع قد تضمنت في مقدمة غلاف "أغاني مهيار الدمشقي"، إلا أن هذه الإشارة لم تكن مجرد استخدام للمصطلح بل كانت تمثل مفهومًا أعمق. اعتمد الشاعر أدونيس، المعروف بالاسم علي أحمد سعيد، على منهج جديد في التعبير الشعري، حيث قام بخلق شخصية جديدة تتجسد فيها أفكاره ومشاكله وتجاربه[١].

لكن هذا الاستخدام الجديد لم يكن مجرد تبني لمصطلح، بل كان تجسيداً فعّالاً لأفكاره ومشاعره من خلال شخصية مهيار الدمشقي. اعتمد أدونيس على هذا التقنين لتجسيد تجربته وحياته الشخصية بطريقة فنية مبتكرة، مما أضاف لأعماله الشعرية طابعًا جديدًا وأبعادًا أعمق. استخدامه لهذا الأسلوب يعكس إبداعه في تقديم وتجسيد تجاربه الشخصية بشكل فني فريد، يعزز فهمنا للعمق والتعقيد الذي يميز إبداعه الشعري.

يبدو أن النقاد لم يُعطوا اهتماماً كافياً لهذه الإشارة، ولم يسعوا لاقتراح مصطلح لها، ولم يجدوا أثراً لها في تراثهم الأدبي. بدأت محاولات استخدام الذات المقنعة في الشعر العربي الحديث عند البياتي[٢]، حيث قال: "حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا وفي كل العصور في موقفه النهائي، وأن أستبطن مشاعر هذه الشخصيات بأعماق حالات وجودها". كانت هذه حالة من التماهي أو اللبس بشخصية أخرى، وصفها البياتي بـ "الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه متجرداً من ذاتيته" [٣].

يُفسر النص المقنع كوسيلة للإشارة إلى المكبوتات الكامنة في نفس الشاعر، حيث يحوّلها إلى تجليات رمزية. يهدف ذلك إلى الحفاظ على توازن يراعي اللبس في استخدام اللغة الشعرية والطبقات التعبيرية والدلالية الموجودة في النص. يظهر هذا التوازن كوسيلة للحفاظ على تشكيل التصادم غير المباشر بين الشاعر بقناعه وبين السلطة الخارجية التي يتوجه إليها الخطاب الشعري[٤].

قد يكون هذا القناع، بشكل عام، جزءًا من إطار الرمز، ولكنه ينحرف عن بعض صفاته الخاصة، وفي هذا السياق، يظهر في الشعر العربي محاولة حقيقية لاستحضار "أسطرة النص بكل معطيات النبوة في النص الديني"[٥].

---

[١] ينظر :أغاني مهيار الدمشقي: أدونيس، ١٦.

[٢] ينظر: القناع في الشعر العربي المعاصر مرحلة الرواد، عبد الرضا علي: ١٦٦.

[٣] المصدر السابق: ٢/ ٣٧.

[٤] ينظر :تقنية القناع الشعري، أحمد ياسين سليماني: ٣٥.

[٥] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د.علي عشري زايد، ٣٥.

وهكذا، تظهر شخصيات الأنبياء في الشعر العربي، وتعتبر سمة الشخصية المستدعاة من النص الديني في النصوص، وهذا يتسق مع هذه الظاهرة في الشعر الحديث ويظهر الشاعر في تأصيل نبوة، مفهومًا ككائن أثيري مقدس ذي جناحين، حيث لا يمكن للشاعر أن يبتكر قصائد قبل أن يتلقى إلهامًا. يُصوِّر الشاعر نفسه ككائن يحمل جناحين، يعبران عن الروحانية والتأثير الإلهي. وبما أن الإنسان يحتفظ بعقله، فإنه لا يستطيع أن يكون مبدعًا في ميدان الشعر إلا بتأثير الالهام والروحانية. يرى الشاعر أن الإبداع الشعري يحتاج إلى توجيه إلهي وإلهام يتجاوز قدرته البشرية وينطلق من مصدر أعلى[١].

تظهر الذات المقنعة في النص الشعري كشخصية، سواء كانت تُعبِّر بالاسم أو برمز، تبدو هذه الشخصية متأصلة في النص، حيث يختفي صوت الشاعر تمامًا ويسيطر عليها ضمير المتكلم من بداية النص وحتى نهايته، يسيطر الضمير المتكلم بشكل تام، باستثناء الحالات الاستثنائية للالتفات المعروفة أو التداخل مع أصوات أخرى عندما يتعدد صوت النص. يتجنب الشاعر الكشف عن العواطف بشكل مباشر، مما يعطي صوته طابعًا موضوعيًا تقريبًا أو شبه محايدًا، يساعد هذا التقريب في تجنب الغنائية والتعبير المباشر، مما يُعزز الابتعاد عن الأسلوب الغنائي والتوجه المباشر[٢].

ومن خلال هذا النظر إلى الشعر، ندرك أن الهوية الدينية وحياة الأنبياء تشكل مصادر أساسية يستمد منها الشعراء مواضيعهم. أصبحت قصص الأنبياء وحياتهم مصدرًا غنيًا للرموز والمعاني التي يُطلع عليها الشعراء. فالأنبياء أصبحوا رموزًا لهم، حيث يتعامل الشعراء مع قصصهم والعبر التي تحملها.

تظهر رمزية النبي إبراهيم غالبًا في سياق السؤال والجدل، فيما تعبّر رمزية اسماعيل عن الطاعة للأب، أما رمزية نوح، فتتعلق بمفهوم الخلاص، ورمزية أيوب بفهم الصبر. وفيما يتعلق برمزية النبي عيسى، تتمثل في المفهوم العظيم للتضحية من أجل الآخرين. جميع هؤلاء الأنبياء، عليهم السلام جميعًا، أصبحوا مصدر إلهام للشعراء الذين استثمروا في قصصهم وصفاتهم.

---

[١] العبقرية والجنون، يوسف ميخائيل أسعد: ١٧٨.

[٢] ينظر: القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق)، سامح عبد العزيز الرواشدة: ٦، ٧.

أما بالنسبة لرمزية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فتحمل معانٍ ودلالات كثيرة تتعلق بسيرته العطرة، ومن بين أهم هذه المعاني: الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وغيرها من الصفات، بذلك، تشكلت في أذهان القرّاء رمزية خاصة لكل نبي من الأنبياء، واستفاد الشعراء منها لنقل مفاهيمهم وتشكيل صورهم بشكل فني[١].

وأمي في صلاة الفجر

ترفع وجهها لله

ليرجع طفلها المخطوف

يوما واحدا لتراه

فمنذ رأى عروس البحر

أصبح شعره منفاه [٢]

يجمع النص بين مقدسين للإنسان العربي، وهما الله والأم، فهو يتناول موضوعًا شخصيًا ودينيًا في سياق عائلي، يظهر أن الهوية الدينية تلعب دورًا هامًا في حياة الأم، حيث يذكر أنها تؤدي صلاة الفجر وترفع وجهها لله، هذا يشير إلى الالتزام الديني والتفاعل العاطفي مع الله في الحياة اليومية.

تظهر الصلاة كوسيلة للتواصل مع الله ولطلب الرحمة والعون، خاصة في سياق الألم والفقدان الذي يعانيه الإنسان، يظهر الشوق العميق لرؤية الطفل المخطوف والأمل في لقاءه مرة أخرى، وهذا الأمل لا نجده إلا من خلال الله.

---

[١] ينظر: جماليات قناع الأنبياء في الشعر الجزائري المعاصر –شعر عثمان لوصيف أنموذجا–، فيروز شريفي: ٣٦٣.

[٢] المجموعة الشعرية المجلد الأول، ١٣

الإشارة إلى "عروس البحر" وتأثيرها على الشخص يمكن فهمها بشكل رمزي، حيث يشير إلى تجربة أو حدث قد يكون له تأثير عاطفي قوي، ربما يكون له صلة بفقدان الطفل، وفي الآنة الأخيرة حيث أن البحر والمحيط تحول إلى قبر كبير لشباب الوطن المهاجرين، يُظهر الجزء الأخير من النص أن هذه التجربة أثرت على الشاعر بشكل عميق، حيث أصبح شعره "منفاه"، مما يشير إلى حالة من الاغتراب أو الألم العاطفي، أحمد بخيت لا يتوقف من التقرب إلى الله في شعره، واستخدام كل الرموز الدينية لأنها تمثل البوابة العاطفية لأمرين، الأول هو التقرب من الله والثاني هو أن الرموز الدينية أكثر أثرا في نفس المتلقي، وحتى القصص الدينية، فالقارئ مهما كان بسيطا في ثقافته فهو يعرف جيدا القصص القرآنية ويعرف كذلك رسالتها، فالتالي يسهل عليه التفاعل مع النص باعتبار المرجعية الدينية، ومن أكثر المرجعيات الدينية في الشعر العالمي والشعر العربي كذلك، قصة آدم، فأحمد بخيت لم يتوانى في جلب هذه القصة واستخدام كل جوانبها في شعره ومنه قوله[١]:

أكان علي
أن أسعى
إلى شجر من النسيانْ
إلى عري
وعصيان جليل
ويبدع العرفانْ
ليبتدئ الحوار الفد
بين الله والإنسانْ

"شجر من النسيان": يُظهر هذا التعبير استعداد الشخصية للتخلي عن المعرفة أو الفهم، ربما للخضوع لأمر إلهي وبالرجوع الى قصة آدم نفهم المطلب من طلب النسيان وهو عندما يقوم آدم بالتساؤل عن الشجرة، (عري وعصيان جليل) يُشير هذا الجمع بين "عري" و"عصيان جليل إلى فترة ما قبل الخطيئة

في قصة آدم وحواء، حين كانوا عراة في الجنة وعصوا بأمر الله بتناول الثمرة المحرمة، "يبدع العرفان" يظهر هنا الاستعداد للتقدير والاعتراف بعظمة الله وحكمته، "الحوار الفد بين الله والإنسان":

(١) المجموعة الأولى، المجلد الأول، ٢٥٠.

يرمز هذا الجزء إلى التواصل الروحي بين الإنسان والله، وربما يُشير إلى اللحظة الحاسمة في قصة آدم وعقوبته بسبب العصيان، والشاعر مرة أخرى يعود للقصة طالبا منها مطلبا آخر، مستخدما أياها في جانب بعيد عن الجانب الأول وهو البعد الزمني بينه وبين آدم وهو في قوله[1]:

أنا أخت الندى والعطر

وحلم الشعر

في الشعراءْ

أحبك منذ تنفس آدم

وتنهدت حواءْ

يتميز المقطع باللغة الشعرية البسيطة، فيه استعارة فنية، حيث يتكيء الشاعر على القرآن في تحريك عواطف القارئ وكالتالي:

"أخت الندى والعطر": يُظهر هذا التعبير الجمالي والرمزي تشبيه الشخصية بالندى والعطر، مما يرتبط بالجمال والنقاء، "حلم الشعر في الشعراء": يُشير إلى الدور المهم للشخصية –أنثى كانت أم ذكر– في إلهام الشعراء وجعلها جزءًا من حلم الشعر"أحبك منذ تنفس آدم وتنهدت حواء" يتم استخدام قصة آدم وحواء في إطار الحب، حيث يُظهر الحب الذي يمتد إلى اللحظة التي تنفس فيها آدم وتنهدت فيها حواء، هذا يمكن تفسيره بمعنى الحب الأبدي والرغبة في الوحدة.

النص يستخدم رمزية قصة آدم وحواء للتعبير عن قصة حب أو ارتباط روحي، الاستشهاد بتنفس آدم وتنهد حواء يُظهر الأصالة والربط بالبدايات الأولى في التاريخ والخلق، والقصص الأولى للإنسان مع المحبوب، ولا يكف الشاعر عن الاعتماد على قصة آدم، فهو يتناول هذه القصة في كل مرة تناولا مختلفا، يركز مرة على الأبدية ومرة أخرى على البداية كما في قوله[2]:

سيولد مرة أخرى

بفجر أزرق آدَمْ

ويرى حواءه الأولى

ويحضن حبه الخاتَم

النص يتأمل في فكرة الخلق والنشوء من جديد، ويشير بشكل واضح إلى قصة آدم وحواء، وكالتالي:

([1]) المجموعة الشعرية، المجلد الأول: ٢١٥.

([2]) المصدر نفسه: ٢٣٧.

"سيولد مرة أخرى بفجر أزرق آدَمْ": يستخدم هنا مفهوم الولادة والخلق من جديد، ويشير إلى بداية جديدة ستكون ذات صلة بآدم، "يرى حواءه الأولى": يُظهر هذا التعبير التواصل بين آدم وحواء، حيث يشير إلى لحظة لقاء أولى بين الرجل والمرأة، "يحضن حبه الخاتَم": يُشير إلى التكامل والاتحاد العميق بين آدم وحواء، ويستخدم "الخاتَم" كرمز للاتصال المستمر والدائم، يبدو أن النص يستخدم قصة آدم وحواء كرمز للبدايات الجديدة وللحب الأزلي بين الرجل والمرأة، يُظهر النص العمق الروحي والرومانسي المرتبط بتلك القصة الدينية، وكيف يمكن أن يكون الحب والوحدة أساسًا للإعادة الخلق والتجدي، ثمن يعود إلى استخدام القصة ذاتها ومرة أخرة ولكن هذه المرة يستخدمها من ناحية أن الرجل دائم بحاجة إلى أنثى في قوله[١]:

أجل لابد من حواء
كي تنسى ومن آدمْ
ومن غار نربي فيه
شوق العاشق الخاتم
ومن سر يسمى الحب
ننجب باسمه العالم

ويركز بشكل خاص على الجانب الروحي والعاطفي لتلك القصة، نحو "أجل لابد من حواء كي تنسى ومن آدمْ"يُظهر هذا البيت الفكرة التقليدية بأن حواء كانت ضرورية لإكمال آدم، الاستخدام المتكرر لكلمة "أجل" يعزز أهمية وجود حواء، "ومن غار نربي فيه شوق العاشق الخاتم": يُستخدم "الغار" هنا كرمز للمكان الذي ترعى فيه العواطف والشوق. "العاشق الخاتم" يُظهر التميز والاتحاد في الحب، "ومن سر يسمى الحب ننجب باسمه العالم": يُظهر هذا البيت الارتباط بين الحب والإبداع والنشوء، "سر" يشير إلى الجانب الغامض والخفي للحب.

يُعزز النص الفكرة الدينية لقصة آدم وحواء بتسليط الضوء على الأبعاد الروحية والعاطفية فيها. يركز على الفكرة أن الحب والتكامل هما جزء من الخلق والإبداع، ويُظهر كيف يؤثر الحب على نشوء العالم والحضارة.

(١) المجموعة الشعرية، المجلد الأول: ٢٥١.

والأمثلة على استحضار قصة آدم كثيرة اختارت الباحثة منها ما اختلفت في الغايات، أما أحمد بخيت فلا يقف عند آدم وحسب، بل يستحضر الأنبياء وقصصهم واحدا واحدا فها هو يستحضر إيقاعه من القرآن ويستعير من سورة مريم قول نبي الله زكريا في قوله [1]:

لقد ناديت

حين وهنت"واشتعل الرأس شيبا"

وكان الرزق في المحراب

رمزا يكشف الغيبا

وكانت عاقرا دنياي

ربي هب لنا حبا

النص يستخدم لغة شعرية سهلة وواضحة وبسيطة للتعبير عن حالة من الضعف والحاجة إلى الله، ويشير إلى الهوية الدينية من خلال استخدام بعض الرموز والمفاهيم الدينية، نحو الآتي:

"لقد ناديت حين وهنت واشتعل الرأس شيبا": هنا يستخدم التضمين القرآني بشكل مباشر وصريح وهو قول زكريا حين حيث يشير الشيب إلى التقدم في العمر وتأثير التجارب ويعرف بأن الله سيرزقه بغلام، وهو تضمين شعري من سورة مريم الاية ٤، هنا الغلام ربما هو الحب الموعود، "وكان الرزق في المحراب رمزا يكشف الغيبا": يُشير إلى اللجوء إلى المحراب كرمز للصلاة والتضرع إلى الله، ويربط الرزق بفهم الغيب واعتماد الشخص على الله لتوفير حاجاته، "وكانت عاقرا دنياي ربي هب لنا حبا": يُظهر هذا البيت الرغبة في الحصول على نعمة الإنجاب –إنجاب الحب بعد فقد الأمل–، ويُركز على الاعتماد على الله في تحقيق الأماني.

(1) المجموعة الأولى، المجلد الأول: ٢٥٢.

التعبير عن الرغبة في اللجوء إلى الله والاعتماد عليه في جميع جوانب الحياة، استخدام تفاصيل دينية مثل المحراب والرزق لتعزيز الهوية الدينية في المضمون، جاء في أقصى درجات الإبداع من خلال ربط العجز البشري مع القوة الإلهية، ومن ثم لا يكف الشاعر عن نبي الله زكريا، ينتقل إلى نبي الله موسى مستحضرا من قصته الحكمة المعروفة للجميع واستخدامها شعريا ليكون البيت الشعري لديه بأجمل ما يمكن في قوله[١]:

هنا دك السنا جبلي

وسميت الكليمَ

وهناكْ

وقيل: اذهب

فقلت: أرى

فقيل كفاك، قيل كفاكْ

إذا ألقوا لك الأسحار يا موسى

فألق عصاكْ

النص يتضمن عدة عناصر تكشف عن هوية دينية ويرتبط بقصة النبي موسى، والتحلل الحو:

"هنا دك السنا جبلي وسميت الكليمَ وهناكْ": يشير إلى حدوث مواقف مهمة وخاصة في هذا المكان، حيث يُفترض أنه قد حدثت أحداث من العهد القديم، مثل تكليم الله لموسى، "وقيل: اذهب فقلت: أرى فقيل كفاك، قيل كفاكْ": يرتبط هذا الجزء بلقاء موسى مع الله، حيث أُمِرَ بالذهاب وقال أنه رأى، ولكن الله أجاب بأنه يكفي، مما يُظهر تواضع موسى أمام عظمة الله، وهو في هذه الاستخدامات لا يقصد القصة في ذاتها، إنما يستخدمها استخداما صوفيا، ويشرح عن حالة المحب مع المحبوب، "إذا ألقوا لك الأسحار يا موسى فألق عصاكْ": يشير هذا السياق إلى اللحظة التي وجه فيها الله لموسى أن يلقي عصاه عندما واجه السحرة الفرعون، يشير إلى قدرة الإنسان في تغيير الواقع من خلال الحب،

(١) المصدر نفسه: ٢٥٥.

ربما العصا الذي يقصه الشاعر هو عصا الحب، النص يستخدم أحداثًا من قصة نبي موسى في الإسلام، ويُظهر تفاعله مع الأوامر الإلهية واستعداده لطاعة الله ولكن بتغيير الشخصيات بين القصتين. وهو لا يتوقف عند موسى، ينتقل هذه المرة إلى يوسف عليه السلام في قوله [1] :

كأني يوسف الصديق
يجتاز الصراط الصعب
به همت وهم بها
وحينئذ أضاء القلبْ
أرى برهانه الأولى
ولا برهان إلا الحبْ

النص يستخدم لغة شعرية للتعبير عن التجربة الدينية والروحانية، ويشير بوضوح إلى قصة النبي يوسف عليه السلام. دعونا نحلل النص:

"كأني يوسف الصديق يجتاز الصراط الصعب": يتم التشبيه بالنبي يوسف عليه السلام وتحدياته، والصراط الصعب هنا قد يمثل التحديات الحياتية والاختبارات.

"به همت وهم بها وحينئذ أضاء القلبْ": يظهر هنا التفاؤل والثقة بالله في التغلب على التحديات، والإشارة إلى أن الهمة والاعتماد على الله يؤديان إلى نور في القلب.

"أرى برهانه الأولى ولا برهان إلا الحبْ": يشير إلى التجربة الدينية والحب الإلهي كبرهان على التوجيه والتوجه الصحيح.

(1) المجموعة الشعرية المجلد الثاني: ٢٥٠.

النص يُسلط الضوء على مفهوم الثقة بالله والاعتماد عليه في مواجهة التحديات، مستخدمًا قصة النبي يوسف عليه السلام كمثال، ومثل سابقاتها فهو يغير الشخصيات في القصة فمثلا يجعل يوسفَ قلبه، وزليخة عقلَه أو العكس وهكذا، ومن ثم يعود إلى أبي يوسف يعقوب النبي متناولا هذه لقصة من النقطة المعروفة بصياغة جميلة في قوله[١]:

إذا عز اللقاء هتفتُ

يا شمس الضحى غيبي

فمنذ غياب هذا الحسن

حزني حزنُ يعقوبِ

وقد نهب الأسى روحي

فأين قميص محبوبي

النص يستخدم اللغة الشعرية للتعبير عن الحزن والفقد في إطار قصة يعقوب عليه السلام، وكالتالي:

"إذا عز اللقاء هتفتُ يا شمس الضحى غيبي": يُظهر هذا البيت الرغبة في اللقاء والاعتزاز باللحظة المقبلة، حيث يُوجه النداء إلى شمس الضحى كرمز للنور والفرح وانتهاء الانتظار، "فمنذ غياب هذا الحسن حزني حزنُ يعقوبِ": يستخدم اسم "يعقوب" للدلالة على الحزن العميق والمدة الطويلة، مستشهدًا بقصة النبي الذي حزن لفقد ابنه يوسف، والشاعر حزين على المحبوب الغائب، "وقد نهب الأسى روحي فأين قميص محبوبي":

(١) المجموعة الشعرية، المجلد الأول: ٣٠١.

يُظهر هذا البيت تعبيرًا عن الألم والفقد، حيث يُشير إلى سرقة الروح والسؤال عن مكان القميص المحبوب كرمز للفقدان، والرغبة في إنهاء هذا الفقد والوجع، فهو يستخدم أحداث قصة يعقوب عليه السلام والحزن الذي تكبده بسبب فقدان ابنه كموضوع للتعبير عن الألم والحزن ويُعبّر عن الرغبة في اللقاء والعودة للحبيب المفقود، وبعد هذا ينتقل إلى نبي الله أيوب متكأً على رسالة الصبر في قصته في قوله:

أما أوقفتني في الصبر
ثم هتفت
يا أيوبْ
لقد أنضجت
في الضراء
فاخترناك للتقريبْ
فقلت الصبر عن ليلى
بليلى
والعطاء ضروبْ (١)

النص يبدو أنه يُلمح إلى قصة النبي أيوب وصبره خلال الابتلاءات والضراء، نحو الاتي:

"أما أوقفتني في الصبر ثم هتفت يا أيوبْ": يُشير إلى اللحظة التي توقفت فيها الشخصية عن الصبر وبعد ذلك هتفت باسم النبي أيوب طالبا منه الصبر وهذا الاستخدام كذلك شائع عند العامة من الناس فهو استخدام بسيط وسهل ومن الحياة اليومية، "لقد أنضجت في الضراء فاخترناك للتقريبْ":

(١) المجموعة الأولى المجلد الأول: ٣٠٧.

يُظهر هنا اختيار الله لأيوب لتحقيق التقريب والقرب منه، حتى بعد تجربته الصعبة، وهو إشارة إلى ان المحبوب يختبر صبره، "فقلت الصبر عن ليلى بليلى والعطاء ضروبْ": يُشير إلى قول أيوب عند تجربته للصبر وتحمله للمحن، واستخدام لفظ "ليلى" يُرمز إلى المحبوب الذي يحتاج فيه الصبر هذا وهو كثيرا ما يستخدم ليلى بدلا عن اسم المحبوب،

فالنص يتداول موضوع الصبر في وجه التحديات ويُلمح إلى قصة النبي أيوب كمثال على الصبر والاختيار الإلهي لتحقيق التقريب، ومن بعد ينتقل إلى النبي الأكرم محمد صلوات الله عليه وقضية الإسراء والمعراج في قوله[١]:

لي الإسراء والمعراج

يا مسطوري المنزلْ

براق الشعر لوح للجمال

وطار للأجملْ

وكان عزاءنا

أنّا بلغنا

المطلق الأجملْ

النص يُشير إلى قصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحدث الإسراء والمعراج، حيث قام بالرحيل الليلي من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم ارتقى إلى السماء في رحلة المعراج، وتحليله كالتالي:

"لي الإسراء والمعراج يا مسطوري المنزلْ": يرتبط النص بتجربة الإسراء والمعراج، ويعبر عن الدهشة والتأمل في هذا الحدث الرائع، وهو يعتبر شعره البراق الذي يركبه ويعرج به إلى فضاء الخيال.

(١) المصدر نفسه: ٣٢٣.

"براق الشعر لوح للجمال وطار للأجملْ": يستخدم الشاعر تعبيرًا مجازيًا لوصف جمال وروعة الحدث. "براق الشعر" يُشير إلى تألق اللحظة بالجمال والرونق، وأن الشعر هو براق إلهي يحمله إلى أعماق فضاء الخيال ليعيش الجمال المطلق به.

"وكان عزاءنا أنّا بلغنا المطلق الأجملْ": يعبّر عن الفخر والسرور بالوصول إلى هذا الحدث العظيم والتأمل العميق من خلال الشعر الذي يكتبه، والتركيز على جمال وعظمة تلك اللحظة، ومن ثم ينتقل الكتاب السماوي الإنجيل ويستخدمه استخداما غريبا في قوله[1]:

حراس أرض الله

كل عشية

يتتلمذون

على يد الشيطان

قرأوا أناجيل الطغاة

فبشروا:

إن الإله

يحل في السلطان

يبدو أن هناك استخدامًا لمفاهيم دينية مختلفة، يشير إلى وجود حراس في أرض الله يتدربون كل عشية على يد الشيطان، ثم يُذكر أنهم قرأوا "أناجيل الطغاة" ويتبع ذلك ببشرى تفيد بأن الإله سيظهر في السلطان، هذا الاستخدام غريب ولو درسنا النص من المنظور النقدي البسيط، لتوقفنا عند أناجيل الطغاة لبرهة من الوقت وأخذناها نقطة سوداء على الشاعر، ولكن نعود إلى خلفية الشاعر الصوفية لنرى أن المقصود من أناجيل الطغاة ليس كما هو ظاهر، إنما يقصد مبادئ الطغاة وقواعدهم واستخدام أنماجيل ما هي إلا إشارة أن هؤلاء القوم لديهم ثوابت سيئة ومرجع غير إنساني، وبهذا فالكلام بعيد عن الإنجيل كل البعد، ومن ثم يعود إلى المصطلحات الإسلامية ليستخدم مصطلح الشهادة في قوله [1]:

سبحان من جعل الشهادة مهنتي

والجرح والسكين من أسمائي

بيني وبين الله

صرخة جائع

من صيف دمعته ربيع غنائي

يشير إلى أنه يمتهن الشهادة ويقصد بهذا أنه يفتدي المحبوب ويموت لأجله ألف موتة وهو تعبير مجازي عن مدى تضحياته والتحليل كالآتي:

([1]) المجموعة الشعرية، المجلد الثاني: ٢٢.

"سبحان من جعل الشهادة مهنتي": يُشير إلى تفرغه للشهادة من أجل المحبوب، ويعكس التفاني في الحب، "والجرح والسكين من أسمائي": يُستخدم هنا لغة الرمز للإشارة إلى التضحية والتحمل الشخصي في سبيل الحب، حيث الجرح والسكين يُمثلان التحديات والمصاعب التي يواجهها العاشق، "بيني وبين الله صرخة جائع": يعبر عن التواصل الداخلي والصراخ بفعل الحاجة والجوع، مما يُظهر توجهًا معنويًا نحو الله، "من صيف دمعته ربيع غنائي": يُظهر هذا البيت التحول من حالة الجوع والصراخ إلى فصل الربيع الذي يُشير إلى السعادة والنمو الروحي بفضل الله.

النص يُظهر التفاعل مع الإيمان والرغبة في التضحية وخدمة الله، وقد يكون ملهمًا من التجارب الدينية والروحية، ويعود إلى حب الله والتوكل به، واتخاد حبه صاحبا في كل موقف في قوله [٢]:

غدا سأقول

يا رب تحابنا وأحببناكْ

أنا بفؤادي الخرب الذي

عمرته بسناكْ

وليلاي التي جاءت من الدنيا

لكي تلقاكْ

النص يستخدم لغة دينية ويعبّر عن الارتباط العميق بالله والطلب منه للمحبة والرضا. والتحليل كالآتي:

"غدا سأقول يا رب تحابنا وأحببناكْ": يُظهر البداية بطلب الله لتحابب وحب الفرد، مما يشير إلى العلاقة الشخصية القائمة بين الفرد والله، وأن الحب لا يأتي إلا من خلال الله، "أنا بفؤادي الخرب الذي عمرته بسناكْ": يُظهر هنا التواضع والاعتراف بالضعف البشري وتحول الفؤاد من خراب إلى تألق بسبب الالتزام بسن الله، يرى أن عمران القلب لا يأتي إلا بالله، "وليلاي التي جاءت من الدنيا لكي تلقاكْ": يشير إلى رغبة الفرد في لقاء الله وتحقيق القرب منه، مستخدمًا ليلاي كرمز للروح السامية والطلب الروحي، يظهر النص روحانية واتجاهًا دينيًا بوضوح، حيث يُعبّر بخيت عن رغبته في القرب من الله والاعتماد على رحمته وحبه.

---

(١) المجموعة الثانية، المجلد الأول: ٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٠.

النتائج

- يعود إلى قصص الأنبياء كثيرا وهذه العودة ما هي إلا محاولة منه بخلق جو ثنائي في نص واحد، فبمجرد أن يقرأ قارئ جيد شعره يعيش بين العودة إلى التراث الديني والبقاء في شعر أحمد، فتراه يستخدم القصص استخداما مدهشا.
- نجد أن أحمد بخيت، استحضر الكثير من القصص القرآنية والمصطلحات الإسلامية في شعره وليس بالضرورة جلبها بدافع التدين إنما بدافع التأثر بالقرآن وأثره في العامة ووجدنا أنه.
- لا يتحسس أحمد من تشبيه نفسه أن أي شيء يريد له صفة ملائكية أو يشبهها بالأنبياء والرسل، ولا يتوانى بالتحدث عن ذات الله بالطريقة التي يريدها وكأن الله وحشا الله صديقا أو أخا أو حبيبا، ولكن على الوجه العام، فإن هذا الخطاب ما هو إلا الخطاب الصوفي والمذهب الصوفي في الشعر والنثر، هذه طريقتهم في التقرب من الله.
- ويستخدم التضمين القرآني المباشر وغير المباشر والاقتباس المباشر وغير المباشر وبكثرة.
- لا تخل نص من نصوص بخيت من الأثر الديني، يبدو أن القضية الدينية في حياته الشخصية تمثل الأساس، أو الصراع الذي يعيشه دائما.

ثبت المصادر والمراجع

- ❖ استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر الأدبي المعاصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- ❖ الأشكال الأولية للحياة الدينية– المنظومة الطوطمية في استراليا–، إميل دوركهايم، ترجمة: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
- ❖ الاعمال الشعرية، أحمد بخيت، المجلد الأول، دار كليم للنشر والتوزيع،، ط١،القاهرة، ٢٠١٢م.
- ❖ الأعمال الشعرية، أحمد بخيت، المجلد الثاني، دار كليم للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٢م.
- ❖ أغاني مهيار الدمشقي: أدونيس، دار المدى للثقافة والنشر، ١٩٩٦.
- ❖ تقنية القناع الشعري، أحمد ياسين سليماني، مجلة غيمان، ع٣، ٢٠٠٥.
- ❖ جماليات قناع الأنبياء في الشعر الجزائري المعاصر –شعر عثمان لوصيف أنموذجا–، فيروز شريفي، عباس بن يحيى، مجلة العمدة للسانيات والخطاب، جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، المجلد: ٦، العدد١، ٢٠٢١م.

❖ العبقرية والجنون، يوسف ميخائيل أسعد، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.

❖ القناع في الشعر العربي الحديث دراسة في النظرية والتطبيق، سامح عبد العزيز الرواشدة، اطروحة دكتوراه، الجامعة الاردنية، كلية الدراسات العليا.

❖ القناع في الشعر العربي المعاصر مرحلة الرواد، عبد الرضا علي، مجلة آداب المستنصرية، العدد السابع، ١٩٨٣.

❖ الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الوقف السني، العراق، ط١، ٢٠٠٩.